

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

هذه هي فاتحة الكتاب، وهي مقدمة القرآن الكريم، والسورة الأولى فيه، وتتكون من ثلاث فقرات:

الأولى: ثلاث آيات.. هي:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

وتشتمل هذه الآيات على: حمد الله تعالى وتمجيده والثناء عليه.. بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا سبحانه، وعلى ذكر المعاد، وهو يوم القيامة .

وهذه هي عقيدة المسلم.. بإيجاز شديد.

الثانية: آية واحدة.. وهي:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

وتشتمل هذه الآية على: إرشاد عباد الله سبحانه وتعالى إلى سؤاله، والتضرع إليه والاحتماء بجنابه، والتبرؤ من حولهم وقوتهم.

كما تشتمل على: إرشادهم إلى إخلاص العبادة لله وتوحيده، وتنزيهه من أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل.

وهذه هي عبادة المسلم الحق.. بإيجاز شديد.

والفقرة الثالثة: آيتان هما:

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ  
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾

تتضمن هاتان الآيتان - كذلك - على تعليم الناس سؤال المولى ﷻ الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، وتعليمهم - كذلك - طلب الثبوت عليه، حتى يؤدي بهم هذا الطريق السليم المستقيم إلى النجاة في المرور على الصراط يوم القيامة، والوصول إلى جنات النعيم، في جوار (النبين، والصديقين، والشهداء، والصالحين) الذين كانوا محل القدوة لهم في الدنيا، ومثلهم الأعلى.

وهذا هو منهج الحياة الصحيح السليم الواضح، الذي يُعتمد عليه في الفلاح في الدنيا، وفي النجاة يوم القيامة.

ولهذه السورة منزلة كبيرة وفضل عظيم، يشير إلى ذلك ويوضحه أحاديث نبوية كثيرة، من ذلك:

ما يرويه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل - أي في الحديث القدسي -: قسمت الصلاة - أي سورة الفاتحة - بيني وبين عبي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبي.

وإذا قال العبد: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله تعالى: أثني علي عبي.

وإذا قال العبد: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. قال الله تعالى: مجدني عبي - وقال

مرة -: فوّض إلي عبي .

وإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبي

ولعبي ما سأل.

فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾.

قال: هذا لعبي، ولعبي ما سأل». (مسلم، ك الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة).

## ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

هذه البسملة: مما أنزل الله تعالى في القرآن الكريم، على هذه الأمة خصوصاً، حيث لم تكن في كتاب قبله، ولا عند أمة غير هذه الأمة، وقد تضمنت جميع علوم الشرع إجمالاً؛ لأنها تدل على ذات الله تعالى، وعلى صفاته العليا.

وهي: قَسَم من ربنا ﷻ أنزله عند رأس كل سورة.. يؤكد فيه لعباده: أن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة.. حق، كما أنني أفي لكم بجميع ما وعدتكم به في هذه السورة، من لطفني عليكم، وبري بكم، وإحساني إليكم.

وقد ندب الشرع إلى ذكرها في أول كل فعل وقول: كالأكل، والشرب، والجماع، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ أَزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسَهُ﴾ [هود: ٤١].

وقال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْرِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

وقال ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله، فقال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقنا؛ إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً». (البخاري، ك التوحيد، باب: السؤال بأسماء الله تعالى: مسلم، ك النكاح، باب: ما يستحب أن يقول عند الجماع).

وقال ﷺ لعمر بن أبي سلمة: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك».

وشكا إليه ﷺ أحد أصحابه من وجع يجده في جسده، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: باسم الله، ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر». (مسلم، ك السلام، باب: استحباب وضع يده على موضع الألم).  
هيا.. لنعطر بها - دائماً - شفاهنا، وألسنتنا.

## ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كلمة كل شاكِر.

قال الله لنوح ﷺ:

﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّنا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وقال إبراهيم عليه السلام:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وحكى الله تعالى في قصة داود وسليمان عليهما السلام، قولهما:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

ويقول أهل الجنة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

وقال أيضاً: ﴿وَمَا آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وقد أثنى الله تعالى بالحمد على نفسه، وافتتح كتابه بحمده.

ولم يأذن في ذلك لغيره، بل نهاهم عن ذلك في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

وفي الحديث الشريف: «احثوا في وجوه المدّاحين التراب». (مسلم، ك الزهد والرقائق).

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

أي: مالكهم؛ إذ كل من ملك شيئاً فهو ربه، وهو اسم من أسماء الله تعالى، خاص به. وأما كلمة ﴿رَبِّ﴾: فإذا دخلت عليها الألف واللام، وصارت الرب خاصة بالله تعالى، لا تطلق على غيره. وأما إذا حذفت الألف واللام وأضيفت: صارت مشتركة بين الله تعالى وغيره.

فيقال: الله رب العالمين، أو رب العباد. ويقال: خالد رب الدار، وعامر رب البيت.

والله ﷻ: رب كل الأرباب.

و ﴿الْعَالَمِينَ﴾ كل موجود سوى الله سبحانه وتعالى.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٣ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنتُم مُّتَوَقِّينَ ﴿٢٤﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤].

ويعبر المعنى: أن الحمد والشكر: لله خالصاً، دون ما عداه، بسبب ما أنعم على عباده من النعم، التي لا يحصيها العد، ولا يحيط بعددها غيره أحد ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

## ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

بعد أن وصف الله نفسه، بـ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وفيها ما فيها من الترهيب والتخويف، أتبع ذلك بوصف - تبارك وتعالى - نفسه، بأنه الرحمن الرحيم لما فيها من الترغيب والتحييب. وذلك: ليجمع الله - سبحانه وتعالى - بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون ذلك أعون على طاعته، وأمنع من معصيته.

كما في قوله تعالى: ﴿نَعِيَ عِبَادِيَ أَتَىٰ أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

وكما في قوله سبحانه: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

وفي الحديث الشريف: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد».

هذا.. والرحمن: بجميع أنواع الرحمة. وهو: المستحق وحده للعبادة.

وللعلم: هذا اسم مختص بالله تعالى، لا يجوز أن يُسمَّى به غيره.

يقول عز من قائل:

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وأما الرَّحِيمُ، فذلك بالمؤمنين.. في الهداية لهم، واللفظ بهم.

وهذا اسم لله تعالى. ولكن يجوز أن يطلق على بعض المخلوقين، كما في قوله تعالى، في وصف محمد ﷺ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

## ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

﴿مَلِكِ﴾ من الملك، وهي: الملكية، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠].

وقرئت ملك من المُلْك، كما في قوله تعالى:

﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

و ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: يوم الجزاء، يوم الحساب، يقول تعالى:

﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥] أي: جزاءهم العادل.

هذا.. وتخصيص الملك بيوم الدين، لا ينفي ملكه تعالى لغيره؛ حيث تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك في الدنيا والآخرة.

وإضافة الملك إلى يوم الدين: لأنه لا يدّعي أحد في هذا اليوم شيئاً، بل لا يتكلم أحد إلا بإذنه، قال الله تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨].

ويقول تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

كل ذلك في يوم القيامة. يوم يدينهم الله، أي: يحاسبهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا من عفا الله عنه. نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

العبادة: كمال المحبة، والخضوع، والخوف، والمراقبة، والامتثال لشرع الله إجمالاً وتفصيلاً.

والاستعانة: الاحتماء بالله تعالى، والتفويض إليه في كل الأمور. كما أنها الاستعانة به في الطاعة، وغيرها من جميع الأمور والأحوال.

والمعنى: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، ولا نستعين إلا بك. وهذا هو كمال الطاعة، ومنتهى العبودية لله تعالى.

حيث إن العبد - كما يقول الإمام ابن كثير - رَكَّ اللَّهُ - لَمَّا عَرَفَ حَقَّ مَوْلَاهُ، سبحانه وتعالى، وأثنى عليه بما هو أهله: كأنه اقترب - بفضل الله تعالى - وحضر بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولذا خاطبه خاضعاً خاشعاً، قائلاً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مستشعراً - في ذات الوقت - حلاوة القرب، ونعمة الطاعة.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

هذا هو النصف الثاني من الدعاء، وهو الذي فيه التصريح بالحاجات والمطالب إلى الله تعالى. جاء بعد النصف الأول من الدعاء، وهو الذي فيه الثناء على الله تعالى.

و ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هو دين الله وشرعه، الذي لا يقبل من العباد غيره.

والمعنى: يا رب دلنا على الصراط المستقيم، وأرشدنا إليه، وثبتنا عليه، وأرنا طريق هدايتك، الموصلة إلى أنسك وقربك ورضاكَ. وذلك بأنس الرفقة والصحبة الصالحة،

الذين جمعوا بين العلم والعمل به، وهم الذين أنعمت ﴿عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

حيث إن الإنسان قد يهتدي إلى الطريق، ثم لا يسير عليه أو لا يثبت فيه، ولا يدوم ملازمًا له.

يا رب...!! نَجِّنَا مِنَ الرَّفَقَةِ السَّيِّئَةِ، والصَّحْبَةِ الضَّارَةِ.. المذكورين في قولك: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم الذين عرفوا الحق، ولكنهم رفضوه وعاندوه؛ ففقدوا العمل وحرموا الطاعة؛ ولذا غضب الله عليهم.

وكذلك المذكورين في قولك: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وهم الذين فقدوا العلم، وضلوا عن الحق، وألّفوا ضلالهم، واستمروا فيه، ودافعوا عنه؛ فخاب سعيهم، وبطل عملهم. ختامًا.. يستحب لمن يقرأ الفاتحة.. أن يقول بعدها: آمين.

ومعناه: (اللهم استجب لنا).

عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتَ آمِينَ فِي الصَّلَاةِ وَعِنْدَ الدُّعَاءِ، لَمْ يَعْطَ لِأَحَدٍ قَبْلِي، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُوسَى عليه السلام كَانَ مُوسَى يَدْعُو، وَهَارُونَ يَوْمُنْ، فَاخْتَمُوا الدُّعَاءَ بِـ (آمِينَ) فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُهُ لَكُمْ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾؛ فَقُولُوا آمِينَ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي السَّمَاءِ تَقُولُ آمِينَ؛ فَمَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

